الباب الرابع

العنف ثقافة

أم غريزة

٨٠

العنف في المدارس ثقافة مكتسبة أم غريزة ؟

ظاهرة تخترق كل المجتمعات تختلف أسبابها من شخص لآخر وتتخذ أشكالاً ومظاهر عدة لكن لماذا وصل العنف بين طلاب المدارس إلى هذا المستوى؟ وأين دور مؤسسات الدولة؟ ومن المتسبب في استفحال هذه الظاهرة؟ وعلى من تقع المسئولية؟ وماذا سيكون مستقبلها؟.

ليس هناك شك في أن العنف ظاهرة إنسانية توجد فى كل المجتمعات القديمة والحديثة، في الشرق والغرب، وهذا ما يؤكد أن هناك أسباباً معينة تؤدي دورًا كبيرًا في انتشار ذلك العنف ويتضح ذلك من شيوع ظاهرة العنف كسلوك في مختلف البيئات، سواء أكانت فقيرة أم غنية، زراعية أم صناعية، وهو ما يعني أن هناك غريزة ثابتة في البشر تتجه إلى العنف مالم يتم تهذيبها.

وقد صدر في القاهرة كتاب تحت عنوان ثقافة العنف لدى

العنف في المدارس

طلبة المدارس الثانوية للدكتور محمد توفيق سلام؛ يرصد ظاهرة العنف لدى طلاب المدارس، ويبحث العديد من الأسباب التي تجعل من العنف ثقافة، وما إذا كانت هذه الثقافة مكتسبة بحسب نظرية التفاعل الاجتماعي التي ترى أن الناس يتعلمون العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أي نمط آخر من أنماط السلوك الاجتماعي أم غريزة؟!.

وبالرغم من اختلاف الأسباب التي تؤدي إلى انتشار العنف بين الطلبة ، لا سيما في خلفية النشأة الأسرية لكل طالب على حدة؛ إلا أن هناك أسباباً خاصة بعنف الطلبة؛ أي: ذلك العنف الذي يمكن رصد بعض مؤشراته المشتركة وباستقراء الكثير من الدراسات حول عنف الطلاب، كان ما يلي:

العوامل النفسية التي تؤدي بشكل مباشر أو غير مباشر إلى ظاهرة العنف في المدارس، منها: الإحباط والفشل المتكرر، الرغبة في إثبات الذات، الرغبة في السيطرة والتملك، الرغبة في لفت الأنظار، الشعور بالملل، الاضطرابات النفسية.

العنف في المدارس

أما العوامل الاجتماعية المفضية إلى العنف بين طلاب المدارس فيتمثل بعضها في: غياب سلطة الوالدين، أو المعلمين، أو مقاومتها، المشكلات المستمرة بين الوالدين، التفريق في المعاملة بين الأبناء (الكبار والصغار، الأولاد والبنات)، التدليل الزائد من قبل الأب أو الأم.

أما العوامل الثقافية فتندرج تحتها مؤثرات كثيرة؛ ذلك أن نسق الثقافة والقيم يشغل مكانة محورية في بناء المجتمع؛ لأن المعايير المشتقة من تلك القيم هي التي تنظم التفاعل الاجتماعي فمن العوامل المؤثرة ثقافياً في انتشار ظاهرة العنف: المدرسة؛ فهي التي تتحمل نقل ثقافة المجتمع، بالإضافة إلى الوسائل الأخرى التي تشكل وعي الطلاب وتنقل لهم القيم، ومن تلك الوسائل:عروض قنوات التلفزيون لأفلام العنف والمسلسلات المحلية والأجنبية، التركيز على أخبار العنف في الصحف والراديو، انتشار وتداول قصص العنف بين الشباب.

وبالإضافة إلى هذه العوامل هناك أيضاً عوامل اقتصادية

العنف في المدارس

تؤدي إلى انتشار العنف كالفقر والبطالة وغيرها بيد أن هناك عوامل تؤدي الحياة المدرسية معها دورًا في انتشار العنف بين طلاب المدارس، ومن هذه الأسباب: الفجوة في الأفكار والخبرة بين الطالب والمدرس، استخدام القوة وأشكال السيطرة الزائدة من خلال الإدارة المدرسية والمعلمين، سيطرة الخوف على علاقة التفاعل بين المعلم والطالب.

وانطلاقاً من دراسة العوامل المؤدية إلى العنف بصفة عامة تبدو الأسباب المؤدية للسلوك العدواني معقدة، ومختلفة مثل: النمو، والإدراك، والمتغيرات الشخصية والدافعية، والحالة النفسية، والبيئة.

وهناك مجموعة من الأسئلة لابد من طرحها لمعرفة أبعاد هذه الظاهرة، ومنها: لماذا وصل العنف بين طلاب المدارس إلى الحد الاقصى من درجاته ومستوياته؟ وأين كانت مؤسسات الدولة وأين كان المجتمع حتى استفحلت هذه الظاهرة؟ ثم من المتسبب في وجود ظاهرة العنف بين طلاب المدارس الذين يفترض فيهم أن يكونوا على النقيض تماماً؟ وعلى من

العنف في المدارس

تقع المسئولية في وجود مثل هذه الظواهر السلبية بين المراهقين والشباب؟ وإذا كان هذا هو حال النشئ فكيف سيكون المستقبل؟.

الملاحظ أن ظاهرة العنف بشكل عام قد شهدت تطوراً كبيراً في الآونة الأخيرة ليس فقط في كمية أعمال العنف وانما في الأساليب التي يستخدمها الطلاب في تنفيذ السلوك العنيف وبناء على تعريف العنف، وملاحظة تطوره بين طلاب المدارس، فإننا نؤكد من خلال استقراء الواقع ومتابعة الأحداث ان ظاهرة العنف في المدارس موجودة منذ سنوات طويلة وأخذت أشكالاً ومراحل مختلفة، وتنامت وتطورت وقفزت قفزات واسعة لكنها قوبلت بتجاهل كبير من المجتمع بشكل عام سواء كان هذا التجاهل عن علم بالظاهرة رافقه التهوين من نتائجها ومخرجاتها، أو عن جهل بها وبأسبابها ودوافعها لانشغال المجتمع بالسباق المادي المحموم الذي فرض على مجتمعاتنا وأقحمت فيه حتى أفقدها الكثير من عاداتها ومبادئها وجزءاً كبيراً من هويتها التي كانت الحصن الحصين لها في مواجهة أي سلوك خارج إطار قيم المجتمع.

على من تقع مسئولية ظاهرة العنف في المدارس ؟

تفشت بشكل مخيف في السنوات الأخيرة وأخذت حيزاً كبيراً من واقعنا المعيشي.

- ظاهرة العنف شهدت تطوراً كبيراً ليس في الكم فقط بل في الأساليب التي يستخدمها الطلاب في سلوكهم العنيف.
- السباق المادي المحموم الذي فرض على مجتمعاتنا أفقدها الكثير من عاداتها ومبادئها وهويتها.
- تنامي الظاهرة قوبل بتجاهل كبير من المجتمع بشكل رافقه التهوين بنتائجها ومخرجاتها.
- الدراسات أكدت أن العوامل النفسية تؤدي بشكل مباشر أو غير مباشر إلى ظاهرة العنف في المدارس.
- غياب سلطة الوالدين والمعلمين من العوامل الاجتماعية المفضية إلى العنف بين طلاب المدارس.
- فقدان الاستقرار الأسري داخل أسرة الطالب يجعله مضطرباً ويدفعه لارتكاب المشاجرات مع أقرانه للتنفيس.

العنف في المدارس

لا يستطيع أحد أن ينكر أن المدرسة هي إحدى أهم آليات المجتمع لتحقيق أهدافه التربوية، التي يصبو إليها لبناء الأجيال للمستقبل، وتأمين النمو السليم لهم وإعدادهم الاعداد الجيد للحصول على النجاح والانخراط في مؤسسات الدولة، ويتعدى الأمر إلى أكثر من ذلك في كثير من الأحيان بحيث يتشكل من خلال التعليم أبرز ملامح المجتمع وتتحدد مكانته بين المجتمعات وكذلك نهضته التنموية والحضارية .

أسباب ونتائج

من الطبيعي أن تكون هناك أسباب مؤدية إلى ظاهرة العنف بين الطلاب، وكما يراها الأكاديميون والمنظرون ومعدو الدراسات والأبحاث ذات الصلة بهذا الموضوع، وعليه فإن البعض يرى أن أسباب تفشي ظاهرة العنف تتمثل في:

١. عدم وجود وعي وفهم كافيين عند الطلاب لطبيعة وهدف المدرسة وعدم ادراكهم انها تجمع علمي هدفه العلم وبناء الذات.

٢. وجود خلل في الأساليب التربوية المتبعة في المدرسة والتي من شأنها تقوية الروابط بين الطلاب.
٣. سوء معاملة المدرسين للطلاب خاصة اتباع أسلوب التفريق بين الطلاب مما يمكن لنمو مشاعر الغيرة والكره بين الطلاب ويقود في النهاية إلى الصدام المباشر.
٤. الاختلاف في وجهات النظر وفي الطبائع يمكن أن تولد شرارة للعنف.
٥. التنافس العلمي بين الطلاب أحياناً يولد مشاعر الغيرة وهي بدورها تدفع الطلاب للتصادم.
٦. عدم وجود استقرار أسري داخل أسر بعض الطلاب وكثرة المشاكل الأسرية تشحن نفس الطفل وتجعله عصبياً ومضطرباً مما يدفعه لارتكاب المشاجرات مع أقرانه للتنفيس عن الاحتقان الناتج عن توترات داخل الأسرة التي ينتمي إليها.
٧. البعض يتبع أسلوب العنف لإثبات نفسه وهذا أمر مرده الى وجود شعور بالنقص في نفس الطفل وهذا

الشعور ينتج عن سوء التربية الأسرية للطالب.

وأصحاب هذه النظرية يرون أن العنف بين الطلاب وفقاً للأسباب السابقة ينتج عنها الآتي:

١. تعرض الطلاب إلى إيذاء جسدي ومعنوي يؤثر بشكل مباشر عليهم.
٢. تعرض بعض الطلاب إلى تدهور في ثقتهم بأنفسهم، خصوصاً إن كانوا هم الجانب الأضعف دوماً في الشجار.
٣. تراجع ملموس في المستوى التعليمي للطلاب الممارسين للعنف وتحول تركيزهم عن الدراسة إلى الشجار.
٤. تأثر الطلاب الآخرين بعنف بعض الطلاب يؤهلهم مستقبلاً ليتحولوا إلى طلاب عنيفين.
٥. العنف داخل المدرسة يمكن أن ينتقل إلى خارجها ويكون أشد خطورة (وهذا قد حدث بالفعل).
٦. الإساءة إلى هيئة المدارس وإلى رسالتها السامية.

ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه على أنه أمام هذه النتائج

الوخيمة لابد من أن يكون هناك تحرك سريع ومدروس من قبل إدارة المدرسة بالتعاون مع الأهل لوضع حلول جذرية للمشكلة والقضاء عليها قبل استفحالها ووصولها إلى مرحلة لا تجدي معها أي معالجات لأنها ستكون القاصمة كما حدث.

وقد وضعوا بعض الأمور المساعدة على حل مشكلة العنف بين الطلاب، ومنها:

١. سرعة التحرك لاحتواء أي شجار ينشأ بين الطلاب وعدم إهمال الأمر كي لا يتفاقم.
٢. دراسة الحالة النفسية للطلاب العنيفين والمثيري الشغب من خلال اختصاصيين تربويين ونفسيين لمعرفة أسباب الشجار.
٣. التواصل مع أولياء الأمور والتعاون معهم لوضع أفضل الحلول لهذه المشكلة.
٤. تحسين الأساليب التربوية والتوعية للطلاب.
٥. الاهتمام بطريقة تعامل المدرسين مع الطلاب والابتعاد

عـن الأسـاليب التـي تـؤدي إلى التفرقـة والإهانـة للبعـض.

٦. تخصيـص حصـص تربويـة وتأهيليـة للطـلاب في محاولـة لتفريـغ شـحنات الغضـب في نفوسـهم.

٧. محاولـة التعـاون مـع الأهـل لحـل المشـكلة التـي قـد يعـاني منهـا بعـض الطـلاب خـارج المدرسـة.

وأكـد أصحـاب هـذا التوجـه أنـه قـد لا نتمكـن مـن منـع العنـف نهائيـاً ولكـن مـن المؤكـد اننـا نسـتطيع الحـد منـه ووضعـه في اطـار نوعـا مـا مقبـول.

الجهات المسئولة

سـنحاول أن نوضـح دور بعـض الجهـات ومسـؤوليتها عـن تفـشي ظاهـرة العنـف في المـدارس كـما يراهـا جماعـة مـن الأكاديميين والباحثين ومنهـا:

أولاً: المعلـم فمـن المؤكـد أن بعـض المعلمـين يتحملـون المسـئولية مبـاشرة في تفـشي ظاهـرة العنـف بـين الطـلاب، وقبـل

أن يتهمنا البعض بالتجني على المعلم والقسوة عليه رغم ما يتحمله من مشاق في سبيل تأدية رسالته، نقول: عندما تهاون المعلم في علاقته مع الطلاب، ووصل الأمر ببعضهم إلى التعامل مع الطالب كصديق أو صاحب، وأصبح للمصالح الشخصية مجال بين المعلم والطالب، تقلصت مساحة الاحترام، واختفت رهبة الطالب من معلمه عندما يصل الأمر في العلاقة بين الطالب والمعلم إلى هذا الحد من المؤكد أن تأثير المعلم في طلابه سينعدم ويفلت زمام أمرهم لأن الرقيب (المعلم) دوره يكاد يكون منعدما ولن يستطيع أن يكبح جماح الطالب المثير للشغب أو العنف.

ثانياً: المدرسة فعندما تتهاون المدرسة في مسؤولياتها التربوية، ولا تتخذ مواقف رادعة وصارمة في مواجهة صاحب السلوك الشاذ عن المنظومة التربوية، وان عاقبت يكون العقاب غير مناسب للخطأ، والبعض أحياناً يقبل الوساطات ويعمل ألف حساب للموازنات وساعتها يشعر الطالب (الحدث) بالزهو والانتصار فيكرر الخطأ مرات ومرات وبأساليب ووسائل أشد

لأنه أمن العقاب فأساء التصرف والسلوك والأدب وعندما يكون هذا هو حال المدرسة فلماذا نتساءل عن تفشي ظاهرة العنف المدرسي؟.

ثالثاً: وزارة التربية لقد فقدت معظم وزارات التربية والتعليم في العالم العربي كثيراً من دورها التربوي وحتى التعليمي، وأصبحت مجرد جهاز إداري أكثر ما يشغله هو تنظيم التحاق الطلاب بالمدارس وتخرجهم فيها وتوفير المعلمين والأبنية التعليمية والكتب والمناهج التي عليها الكثير من علامات الاستفهام، فوزارات التربية لم تقدم شيئاً ملموساً في مواجهة ظاهرة العنف في المدارس وبين الطلاب، هذه الظاهرة التي أطلت برأسها منذ سنوات وأخذت في النمو والتطور من دون أن تحاول القضاء عليها أو الحد منها وعليه فإن وزارات التربية والتعليم تتحمل نصيباً كبيراً من المسئولية عن تفشي العنف في المدارس.

رابعاً:الأهل فدور الأسرة أو أهل الطالب هو الأهم

والأبـرز في تحولـه إلى السـلوك العنيـف وهـذا الـدور يتخـذ أشـكالاً كثـيرة، منهـا إهمـال الطالـب وعـدم متابعتـه في المدرسـة، ومعرفـة أحوالـه العلميـة والسـلوكية، والأخطـر مـن الاهمـال هـو محاولـة الأهـل الانتصـار لابنهـم حتـى ولـو كان مخطئـاً، والسـعي بـكل السـبل لعـدم معاقبتـه مهـما كان خطـؤه، ومـن يـرد التأكـد مـن ذلـك فليسـأل مخافـر الشرطـة عـن كـم معلـم تـم أخـذه مـن المدرسـة مخفـوراً في أيـدي رجـال الشرطـة لأنـه ضرب طالبـاً وطبعـاً هـذا بمسـاعدة إدارة المدرسـة التـي تتقاعـس في الدفـاع عـن المعلـم لابعـاد المشـكلة عـن دائـرة اختصاصهـا، ولأن المعلـم يكـون دائـماً هـو الحلقـة الأضعـف في القضيـة ثـم يتسـاءلون بعـد ذلـك عـن السـبب في ممارسـة الطـلاب للعنـف فى المـدارس!.

هـؤلاء هـم أصحـاب النصيـب الأكـبر في المسـئولية عـن انتشـار العنـف في المـدارس وهنـاك بالتأكيـد مسـئوليات أخـرى للإعـلام والمجتمـع بـكل مؤسسـاته، فالجميـع شركاء في المسـئولية ويلزمنـا في مثـل هـذه القضايـا ألا نتهـرب ونلقـي باللـوم عـلى الآخريـن ويتوقـف دورنـا عنـد التنظـير والتصريحـات والبيانـات

لمجـرد الظهـور في الصـورة وإيهـام النـاس بالمشـاركة في وضـع الحلـول المفيـدة لهـذه الظاهـرة أو غيرهـا اننـا في حاجـة إلى حلـول مخلصـة ليوفقنـا الله في النتائـج.

الإسلام والوقاية من العنف

كلمـة الإسـلام مشـتقة مـن كلمـة السـلام ويشـكل السـلام إحـدى الركائـز الأساسـية في حيـاة المسـلم ويؤكـد الإسـلام عـلى نبـذ العنـف والقتـل ويقـول القـرآن (مـن قتـل نفسـاً بغـير نفـس أو فسـاد في الأرض فكأنـما قتـل النـاس جميعـا، ومـن أحياهـا فكأنـما أحيـا النـاس جميعـاً)، وقـد بـين النبـي محمـد صلـوات الله وسـلامه عليـه السـلوك الصحيـح للمسـلم فقال:المسـلم مـن سـلم المسـلمون مـن لسـانه ويـده، وقـد أشـار القـرآن لهـذا الموضـوع في مراحـل الوقايـة الثـلاث.

المرحلة الأولى

يبـدأ أسـلوب الإسـلام في الوقايـة مـن العنـف قبـل الميـلاد حيـث يـوصي الـزوج باختيـار شريكـة حياتـه مـن مجتمـع جيـد

مسالم فيقول الحديث الشريف تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس ويوصي الرسول صلوات الله عليه - الشباب ألا يتزوج فتاة لجمالها فقط إذا كانت قد نشأت في بيئة سيئة لأن مثل هذه الفتاة تشبه زهرة نمت في بيئة فاسدة فيقول اياكم وخضراء الدمن وهي المرأة الجميلة في منبت السوء وهذه الوصايا لتجنب الجينات المريضة.

ويعطي الإسلام للأيام الأولى في الحياة أهمية خاصة ففيها تشكل شخصية الفرد ولهذا السبب يؤكد الإسلام على أهمية هذه الأيام ويحرص على نضج الأخلاقيات والسلوك الحميد وتنشيط الإرادة.

ويؤكد الرسول صلوات الله عليه على تعليم الأبناء مبادئ الصلاة قبل السابعة، وهذا يتطلب النظافة والوضوء وقراءة القرآن وتقليد سلوك الوالدين اثناء الصلاة والاستماع إليهم وهم يقرأون القرآن والاجابة عما يوجه إليهم من أسئلة أثناء هذه الفترة الحرجة من العمر وتؤدي هذه الخطوات إلى

النضج السريع الصحي الخالي من العدوان والعنف الذي يتسم بالسلام والحب والطاعة وهذه الوقاية الأولية مسئولية عدة أطراف، فالوالدان والأسرة يأتيان أولا يليها المدرسة والنادي والجيران والاصدقاء والزملاء ووسائل الإعلام والقادة أو الزعماء في كل منطقة كما أنها لها أهمية كبرى في أماكن العبادة كالمساجد.

المرحلة الثانية

قد ينشأ العنف في كثير من الأسباب المرضية سواء كانت اجتماعية أو نفسية أو عضوية أو اقتصادية أو غير ذلك والتشخيص المبكر مهم جداً لمعالجة هذه الأمراض المختلفة والتعامل معها ولا بد للمجتمع أن يكون مستعداً لإقامة مراكز العلاج اللازم لمواجهة هذه الحالات واعطاء العلاج المبكر والمتابعة ولا بد للطبيب النفسي والاخصائي النفسي والاخصائي الاجتماعي والمرشد الديني أن يعملوا كفريق واحد في هذه المراكز ويؤكد القرآن هذا الاتجاه حيث يقول (ولتكن منكم أمة يدعون

إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وإذا نجح المجتمع في تحقيق هذه الأهداف فان مشكلة العنف سوف تقل فالعنف يولد العنف، ولابد للجهات المعنية أن تعالج هذه الظاهرة في جميع المجالات فلا بد من تحليل العنف ومعرفة دوافعه ومعالجتها حسب طبيعتها ويقول القرآن (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

المرحلة الثالثة

قد تستمر حالات العنف بسبب خطأ العلاج أو غير ذلك من الأمراض وهذه الحالات تحتاج التأهيل والعلاج في مراكز خاصة تستعمل أحدث الأجهزة والأساليب التي من بينها الأسلوب الديني ولابد للمجتمع أن يسهل انشاء هذه المراكز وتبني سياستها الوقائية على الأسلوب الاجتماعي الديني ولابد أن تبتعد هذه المراكز عن المفاهيم القديمة على اعتبار أنها مراكز للعقوبة ويؤكد القرآن على هذه المبادئ فيقول: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً

وارزقوهم منها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً) والكثير من الحالات تستجيب للوقاية الثالثة ويعودون إلى المجتمع الذي يجب عليه أن يسهل حياتهم ويقبلهم كمواطنين عاديين وهذا يتطلب القيام بدور المتابعة لتجنب النكسة.

مجتمع متوازن

لقد وضع الإسلام حدوداً معينة لا يجب تجاوزها كما أن هناك أنواعاً خاصة من العقوبة تطبق على من يتجاوز هذه الحدود وذلك لتحقيق التوازن في المجتمع وللحيلولة دون احتمال الأخذ بالثأر ولكن على الرغم من كل هذه الاحتياطات فإن الإسلام يشجع الناس على التسامح والعفو، وهذا الاتجاه يساعد على تقوية صلابة شخصية الفرد المسلم واستقرارها ويقول القرآن في هذا المعنى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) فالإسلام عندما يوفر قاعدة عريضة لمقاومة العنف فإنه يكون بذلك قد حفظ حقوق الأفراد وأكد على التزاماتهم ويكون بذلك قد ساعد على إيجاد مجتمع متوازن.

العنف في المدارس